فصدقهم الخصم وقال هؤلاء كلهم شهود عدول صادقين ثم شهد آخر
على شهادتهم سواء فقال الخصم هذه الشهادة باطل وكذب ولا أصل لها
وذلك تكذيب بشهادة جميع الشهود قطعا ولا ينفعه من يكذبهم
اعترافه بصحة شهادتهم وأن شهادة هؤلاء حق وأن الشاهد هو لها
ذب فيما شهد به فإنه لو لم يظهر محمد صلى الله عليه وسلم
لبطلت نبوات الأنبياء قبله فكذا لو لم يصدق لم يمكن التصديق بنبي
من الأنبياء قبله **الوجه الثالث** أن الآيات والبراهين التي
دلت على صحة نبوته وصدقه أضعاف أضعاف آيات من قبله من الر
سل فليس لنبي من الأنبياء آية توجب الإيمان به إلا ولمحمد صلى الله عليه وسلم
مثلها أو ما هو في الدلالة مثلها وإن لم يكن من جنسها فآيات نبوته
أعظم وأكثر وأبهر وأدل والعلم بنقلها مطلق لقرب العهد بها وكثرة
النقلة واختلاف أمصارهم وأعصارهم واستحالة تواطئهم على الكذب
فالعلم بآيات نبوته كالعلم بنفس وجوده وظهوره وبلده و
بحيث لا يمكن المكابرة في ذلك والمكابر فيه في غاية الوقاحة والبهت
كالمكابر في وجود ما شاهده الناس ولم يشاهده هو من البلاد وا
لأقاليم والأنهار والجبال فإن جاز القدح في ذلك كله فالقدح في و
جود موسى وعيسى وآيات نبوتهما أهون وأجوز وإن امتنع
القدح فيهما وفي آيات نبوتهما فامتناعه في محمد صلى الله عليه وسلم
وآيات نبوته أشد ولذلك لما علم بعض علماء أهل الكتاب أن الإ
يمان بموسى لا يتم مع التكذيب بمحمد أبدا كفر بالجميع وقال ما أنزل
الله على بشر من شيء كما قال تعالى وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا
ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به
موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون
كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون
قال سعيد بن جبير جاء رجل من اليهود فقال مالك بن الصيف

يخا

١٢٠

يخاصم النبي صلى الله عليه وسلم فقال أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى أما تجد في التوراة
أن الله يبغض الحبر السمين وكان حبرا سمينا فغضب عدو الله وقال والله ما أنزل
الله على بشر من شيء فقال له أصحابه الذين معه ويحك ولا موسى فقال والله ما أنزل الله
على بشر من شيء فأنزل الله عز وجل وما قدروا الله حق قدره الآيات وهذا قول
عكرمة وقال محمد بن كعب جاء ناس من اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو محتبي
فقالوا يا أبا القاسم ألا تأتينا بكتاب من السماء كما جاء به موسى ألواحا يحملها
من عند الله عز وجل فأنزل الله عز وجل يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا
من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك الآية فجثى رجل من اليهود فقال ما
أنزل الله عليك ولا على موسى ولا على عيسى ولا على أحد شيئا ما أنزل الله على
بشر من شيء فحل رسول الله صلى الله عليه وسلم حبوته وجعل يقول ولا على أحد و
ذهب جماعة منهم مجاهد إلى أن الآية نزلت في مشركي قريش فهم الذين جحدوا أصل الرسالة
وكذبوا بالرسل وأما أهل الكتاب فلم يجحدوا نبوة موسى وعيسى وهذا اختيار ابن
جرير قال وهو أولى الأقاويل بالصواب لأن ذلك في سياق الخبر عنهم فهو أشبه
من أن يكون خبرا عن اليهود ولم يجر لهم ذكر يكون هذا متصلا به مع ما في الخبر
عمن أخبر الله عنه من هذه الآية من إنكاره أن يكون الله أنزل على
بشر شيئا من الكتب وليس ذلك مما يدين به اليهود بل المعروف من دين اليهود
الإقرار بصحف إبراهيم وموسى وزبور داود والخبر من أول السورة إلى هذا
الموضع خبر عن المشركين من عبدة الأوثان وقوله وما قدروا الله حق قدره مو
صول به غير مفصول عنه قلت ويقوي قوله أن السورة مكية فهي خبر عن ز
نادقة العرب المنكرين لأصل النبوة ولكن يقال فكيف يحسن الرد عليهم
بما يقرون به من إنزال الكتاب الذي جاء به موسى وكيف يقال لهم تجعلونه
قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا ولا سيما على قراءة من قرأ بتاء الخطاب
وهل ذلك صالح لغير اليهود فإنهم كانوا يخفون من الكتاب ما لا يوافق
أهواءهم وأغراضهم ويبدون منه ما سواه فاحتج عليهم بما يقرون من
كتاب موسى ثم وبخهم بأنهم خانوا الله ورسوله فيه فأخفوا بعضه وأظهروا
بعضه وهذا استطراد من ذكر جحدهم النبوة بالكلية وذلك إخفاء لها وكتمان

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)